

٢٢- وجوب مراقبة الله.

### الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد.

فيا أيها المؤمنون.

اتقوا الله تعالى في السرِّ والعلنِ والغيبِ والشهادة، فإن ربكم العليم الخبير لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السماواتِ ولا في الأرضِ ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ، يحاسبكم تعالى ذكره على النقييرِ والقطميرِ والقليلِ والكثيرِ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(١)</sup>، قال عز جنابه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

عباد الله.

إن الله -جلَّ وعلا- أخبركم بأنه رقيبٌ على أعمالكم، عالمٌ بما في نفوسكم، لا تخفى عليه منكم خافيةٌ، فالسرُّ عنده علانيةٌ، أخبركم بذلك لتخافوه وتحشوه وتراقبوه، فقال تقدست أسماؤه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال

(١) سورة الزلزلة (٧-٨).

(٢) سورة يس (١٢).

(٣) سورة البقرة (٢٣٥).

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(١)</sup>

فهو الرقيبُ على الخواطرِ واللوا حظِ كيفَ بالأفعالِ والأركانِ<sup>(٢)</sup>

عبادَ الله، إن الواجبَ على من نصَحَ نفسه وأحبَّ نجاته أن يستحضرَ ويتيقنَ اطلاعَ الله على ظاهره وباطنه، ولا شكَّ أن من اعتقدَ ذلك وتيقنه حملَه على خيرٍ كثيرٍ، ودفع عنه شرًّا عظيمًا، فالله -جلَّ وعلا- على كلِّ شيءٍ شهيدٌ؛ ولذلك فقد جعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم مراقبةَ الله -جلَّ وعلا- وتيقنَ اطلاعه على أحوالِ عباده من أعلى مقاماتِ الدِّينِ، فلما سُئِلَ صلى الله عليه وسلم عن الإحسانِ قال: «أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(٣)</sup>، ومن عبدَ اللهَ أيها المؤمنون مستحضرًا قُربَه وأنه بين يديه كأنه يراه أو جبَّ له ذلك خشيةً وخوفًا وهيبةً وتعظيمًا لله ربِّ العالمين، كما أن تيقنَ اطلاعِ الله على عبده يحملُ العبدَ على إحسانِ العبادة، وبذلِ الجهدِ في إتمامها وتكميلها، وقد نبهَ إلى ذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم في حثِّه صلى الله عليه وسلم المؤمنين على الخُشوعِ في الصَّلَاةِ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم إذا قامَ في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة»<sup>(٤)</sup>.

أيها المؤمنون.

إن إيمانَ العبدِ بأن الله يراه ويطلعُ على سرِّه وعلايته وباطنه وظاهره، وأنه لا يخفى

(١) سورة النساء (١)

(٢) القصيدة النونية (٢٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٥١) من حديث أنس رضي الله عنه .

عليه شيءٌ من أمره من أعظم أسباب ترك المعاصي الظاهرة والباطنة؛ وإنما يسرف الإنسان على نفسه بالمعاصي والذنوب إذا غفل عن هذا الأمر؛ ولذلك قال الله تعالى في بيان تهوُّك أهل النار في الذنوب والمعاصي: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فمن قام في قلبه أنه لا تخفى على الله خافية، راقب ربه وحاسب نفسه وتزوَّد لمعادِهِ، واستوى عنده السرُّ والإعلان؛ ولذلك كان من وصاياه صلى الله عليه وسلم: «أتقِ الله حيثما كنت»<sup>(٢)</sup>؛ أي: في السرِّ والعلانية، حيث يراك الناس وحيث لا يرونك، فخشية الله تعالى في الغيب والشهادة من أعظم ما ينجي العبد في الدنيا والآخرة؛ ولذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «أسألك خشيتك في الغيب والشهادة»<sup>(٣)</sup>، وكان الإمام أحمد كثيراً ما ينشد قول الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب<sup>(٤)</sup>

(١) سورة فصلت (٢٢-٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٨٤٧)، والترمذي (١٩٨٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الترمذي.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٨٦١)، والنسائي (١٣٠٥)، والحاكم (١٩٢٣) من حديث عمار بن ياسر، وصححه.

(٤) البيتان من ديوان أبي الغتاهية (١٠).



## الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا الله عبادَ الله، واخشوه في الغيبِ والشهادة، فإن الله قد أعد لمن راقبه وحشيته أجراً عظيماً، فقال سبحانه: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾<sup>(١)</sup>، وخص من خشيته في الغيبِ والسرِّ، فقال: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ \* هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ \* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ \* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ \* هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

أما أولئك الذين خفَّ قدرُ الله في قلوبهم وضعفَ يقينهم وإيمانهم فسارعوا في ارتكابِ الموبقاتِ، والتورطِ في الذنوبِ والمعاصي في أوقاتِ الخلواتِ، ولم يرعوا حقَّ ربِّ الأرضِ والسمواتِ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرَى مِنَ الْقَوْلِ﴾<sup>(٣)</sup>، فأقول لهم: استمعوا إلى هذا الحديثِ العظيمِ، ففي "سننِ ابنِ ماجه" بسندٍ جيدٍ من حديثِ ثوبانٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لأعلمنَّ أقواماً من أمتي يأتون يومَ القيامةِ بحسَنَاتٍ أمثالِ جبالِ تهامةٍ بيضاً، فيجعلها الله - عز وجل - هباءً منثوراً» قال ثوبان: يا رسولَ الله

(١) سورة البينة (٨)

(٢) سورة ق (٣١ - ٣٥)

(٣) سورة النساء (١٠٨)



